(٤٣)

مسألة فى الجواب عن الشبهات الواردة لخبر الغدير

بسم الله الرحمن الرحيم

وسألوا أيضاً فقالوا : أنتم تحتجون بالنص على صاحبكم بما قال فيه يوم الغدير ، وليس في ذلك أن علياً بعدي الامام فيكم والخليفة عليكم ، وموضع الرد عليكم بزعمكم ، فهي جاحد الكلام الوارد ، ومن المفصح المبين عليه السلام الى مكلفكم له واحتجاجكم ، لثبت معناه الذي تدعونه .

ولو كان أراد النبي صلى الله عليه وآله بذلك اللفظ الموجد المشبهة والموقع للتأويل ما ذهبتم اليه لكان حينئذ أقدر منكم اليوم على بلوغ غلبة الافصاح بالغرض المقصود والامر المشهود ، والانص على الخطاب نفسه .

كما استغنينا على زعمكم مع أمره ونهيه عليه السلام ، الى أقاويل شريعة مكملة لدينا ، متهمة عندنا بآرائنا وقياسنا ، وتأويل لغة واستحسان أمر ، فيجيء اذ نحن مفتقرون الى الاجتهاد ، مضطرون الى الابانة والايضاح ، أم تراه عليه السلام قد كان أوضح كل شيء من أمور الشريعة وأحوال الدين الاما يتعلق

بالامامة حيث ماتأولتم له من النص، وجعلتم له معنى و كلاماً اذا استظهر لنفسه في الاجتهاد والاخذ بسائغ الظن .

الجواب وبالله التوفيق :

قال الاجل المرتضى علم الهدى (قدس الله روحه): ان كلامه عليه السلام في يوم الغدير تصريح في النص بالامامة ، والاستخلاف على الامة ، وأنه لايحتمل سوى هذا المعنى ولايليق بخلاف هذا . . .

وأنه ان حمل على غيره كان خطلا من القول ثبت ما قصدناه واعتمدناه ، فصارمن الزامنا أن يعدل عن هذا اللفظ الى غيره من الالفاظ مبسطاً في الاقتراح معنا ، لان الا لفاظ اذا دلت على معنى واحد فان المتكلم مخير بينهما ، ولا لفظ الاوقديجوز أن تقع الشبهة فيه للمتأمل ، وأن لايوفي النظر حقه .

ألاترى أنه عليه السلام لوقال فيه : أنت الامام من بعدي والخليفة على أمتي. وذلك أصرح الالفاظ ، جاز أن تدخل شبهة على مبطل ، فيقول انه عليه السلام انما أراد بلفظة « بعدي » بعد عثمان . أويقول :أنت الخليفة ان اختارتك الامة واجتمعت عليك .

فاذا قيل : إن هذا خلاف ظاهر الكلام .

قلنا: وكذلك حمل لفظ الغدير على غير النص بالامامة ، عدول عن ظاهر الكلام ، وسنبين ذلك .

فأما دخول الشبهة في لفظ خبر الغدير ، فانما أتي فيها من دخلت عليه من قلة تبصره وقلة تأمله ،كما دخلته على قوم في قوله تعالى « لاتدركه الابصاروهو يدرك الابصار » .

فـلا خلاف بيننا وبين المعتزلة في أن الله تعالى كان قـادراً على أن يقول بدلا من هـذا اللفظ الذي دخلت فيه الشبهة على المخالفين في الرؤية ، لايراه ذوالابصار بأبصارهم في الدنيا والاخرة ، حتى تزول شبهـة من خالف في أن الادراك غير الرؤيـة ، وأن نفي ادراك الابصار ليس ينفي ادراك البصر ، فـان الكلام ليس بعام في الاخرة لما هو متناول للدنيا .

فاذا قيل لنا : كيف تعدل بين[1] اللفظ الصريح الى اللفظ المحتمل الذي علم دخول الشبهة معه ؟ .

لم يكن لنا جواب الامثل ما أجبناه في خبر الغدير ، ولم يبق الا أن ندل على أن خبر الغدير يقتضي الاستخلاف في الامامة من غير احتمال لسواها .

والذي يدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآلـه قرر[2] مع أمتـه على فرض طاعته الذي أوجبها الله تعالى له بقول الله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وانما أراد تعالى أنه أحق بتدبيرهم وتصريفهم ، وأن طاعته عليهم واجبة ، فقال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه .

فأتى من لفظة « مولى » بلفظ يحتمـل المعنى المتقدمة وان كان محتمـلا لغيرها، لان لفظ « المولى » يحتمل الاولى ، وابن العم ، والحليف ، والناصر، والجار ، وغيرذلك ، فقد نص جميع أهل اللغة على أن لفظة « مولى » محتملة للاولى العرب وماهومسطوروالحال في احتمال هذه اللفظة للمعنى الذي ذكرنا أشهر من أن يخفى على محصل .

ومن شأن الادباء اذا عطفت جملة سفسرة بكلام يحتمل للمعنى الاول ولما يحتمل غيره أن لا يريدوا ما بالكلام الا المعنى الاول دون ما عداه .

---

١) ظ : من .

٢) ظ : قرن .

ألا ترى أن أحدهم اذا قال لجماعة : ألستم تعرفون عبدي زيد ، وله عبيد كثيرة، ثم قال عاطفاً على كلامه: فاشهدوا أنني قداعتقت عبدي أو وهبته لفلان، لم يجز أن يحمل لفظـة عبدي ثاني المحتمل الا على العبد الاول الذي وقع التصريح به ، ومن حمله على سواه كان مخطئاً عادلا عن حقيقة الكلام ووضعه .

واذا صح ما ذكرنا وكان النبي صلى الله عليه وآله قال : فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه. ولا يكون أولى بنا من نفوسنا الا وطاعته واجبة علينا ، ولا يكون طاعته واجبة علينا الا وهو امام مستخلف .

ولافرق على ماذكرناه ورتبناه بين أن يقول الله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » وبين أن يقول طاعته واجبة عليكم ولازمة لكم ، وبين أن يقول : ألست أولى بكم من أنفسكم .

هذه جملة كافية في جواب هذه المسـائل ، فمن أراد التفصيل والتطويل فعليه بكتاب « الشافي » ومـا جرى مجراه من كتبنا في الامامة ، وتصانيفنا وأمالينا . ونسأل الله تأييداً وتوفيقاً وتسديداً في قول وعمل ، فانه نعم المولى ونعم النصير .